

دور وسائل الإعلام والاتصال في عملية التنشئة الاجتماعية

د. إيكوفان شفيق

جامعة تيزي وزو

-ملخص: تلعب التكنولوجيا الحديثة اليوم دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية والتربية إلى جانب كل من الأسرة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، خاصة مع الانفجار الرقمي الحاصل اليوم، والذي أصبح يستقطب الطفل بشكل ملفت. فالطفل يتعلم من وسائل الإعلام والاتصال الكثير من الخبرات والمهارات، بفضل ما توفره هذه الوسائل من مضامين متنوعة. فالطفل يتعلم العلاقات الاجتماعية، وغيرها من العلاقات الأخرى. فهناك الكثير من مجالات تأثير وسائل الإعلام على الطفل، على غرار التأثير على المواقف، وتحديث المعارف، إضافة إلى تعديل ما يعرف بالقيم الاجتماعية التي تعرف دوما تغييرا من جيل إلى آخر.

الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام و الاتصال، التنشئة الاجتماعية، الطفل.

-Résumé : les médias d'aujourd'hui jouent un rôle éducatif en relation étroite avec la famille et les institutions de socialisation surtout avec l'évolution de la technologie et l'attachement de l'enfant à ces différents médias. L'enfant apprend les relations sociales à travers le contenu des médias, il construit ses opinions, développe ses connaissances à travers les domaines d'influence des techniques d'information ce qui génère la modification des valeurs sociales d'une génération à une autre.

Mots clés : techniques de l'information et de la communication, socialisation, enfant.

-Abstract: the media play an important role along with the rest of the family and socializing institutions for child-education. Especially with the technological explosion, where the child has become associated with these new technologies. The child learns from the media and it takes them a lot of experience in social dealings, there are a lot of areas of impact of this technology on a child such as changes in attitudes and changes in knowledge and also change the social values.

Key words: technical information and communication, socialization, the child.

-مقدمة:

يعتبر الإعلام حسب صلاح الدين (2011) - خصوصاً في أيامنا هذه - من أخطر المؤسسات تأثيراً على المجتمعات و الشعوب، و من ثم فهو من الجهات التي توليها الحكومات و الجماعات أهمية قصوى، نظراً لتعدد وسائله، من صحافة و إذاعة و تلفزيون ومطبوعات، و نظراً لسهولة وصول هذه الوسائل إلى قطاعات عريضة جداً من الجمهور المختلف، حيث تفعل فعلها في عقول الناس و نفوسهم، و من ثم تؤثر في اتجاهاتهم تاركة سلوكيات قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية، تستهدف بشكل أكبر شريحة الشباب والأطفال. وتلعب وسائل الإعلام دورا كبيرا في عملية التنشئة للطفل، بما تتضمن من معلومات مقروءة ومرئية ومسموعة، إذ يقصد من عرضها وتقديمها للجماهير عامة إحداث تغييرات وتأثيرات متعددة.

يرى محمد صلاح (2004)، أن دراسة أثر وسائل الإعلام من أساسيات علوم الإعلام والاتصال، لفهم الظواهر الاتصالية التي تتناسب مع تفاعل مجتمع ما، والتعرف على أثارها الاجتماعية المختلفة، فضلا عن ردود الأفعال من صور التفاعل اتجاه المثيرات للتعبير عن النزعات الاجتماعية سواء في أشكال التقاهم الذاتية أو مع الآخرين.

برهن ديب (1991)، أن هذا الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام والاتصال تزداد حدته بفعل التكنولوجيا الحديثة والتي باتت تحكم كل المجالات بما فيها المجال التربوي، فقد أشار تقرير الاتجاهات العالمية لسنة (2015)، والذي وضعته المخابرات المركزية الأمريكية أوضاع العالم خلال السنوات الخمس عشرة المقبلة، وصنّف التقرير سبعة عوامل أساسية تحرك وتوجّه العالم من بينها تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

ولهذا تحاول بحوث اجتماعيات المعلومات اكتشاف تصميم، استعمالات وتطبيقات تكنولوجيا المعلومات في تفاعلها مع السياقات الثقافية. فالعملية الإعلامية والاتصالية في بعض جوانبها هي عملية تربوية، كما أن العملية التربوية في بعض جوانبها اتصالية فهناك وسائل قوية مشتركة بينهما. ونظرا لتقارب هذه الصلة فإن تنافسا حادا نشأ بينهما في سبيل أداء رسالتهما، فالتربية لازالت وستبقى الرافد الأساسي للإعلام. فهو بما يملكه من وسائل تقنية، أصبح من أدوات العملية التعليمية والتربوية، ووسائلها الهامة في توصيل مضامينها إلى مختلف الشرائح.

وعلى هذا الأساس، توصل عليوة (1987)، إلى أنه لا يجب أن ينكر كل من الإعلاميين والتربويين دور كل فريق منهما لتكملة دور الآخر. لأنهما مؤسستان تربويتان، هامتين تتكامل أدوراهما إزاء الإنسان الذي هو المحور المشترك للمضامين التربوية والإعلامية.

- نحو إعلام تربوي فعّال في المجتمع :

يعتبر محمد العلي (2008)، أن التنسيق بين الإعلام والتربية، وانصهارهما في هدف مشترك ليصبحا في صيغة جديدة، تحت اسم "الإعلام التربوي" ليس جديداً، وإنما شغل هذا التنسيق العديد من الدول والمجتمعات. ما جعل هذه القيمة التربوية للإعلام تترسخ في العديد من البحوث والدراسات الاجتماعية.

وفي نفس السياق، يؤكد الرفاعي (2011)، أن العديد من التربويين وحتى الإعلاميين قد اجتهدوا، في إيجاد وسائل وآليات، لاستخدام الأمن لوسائل الإعلام والاتصال، من طرف الطفل. وتتنوع رؤاهم في إيجاد الوسيلة الآمنة في ظلّ الواقع المعاش لهذه الوسيلة. فهي وسائل نافعة و مفيدة بشكل كبير، لكنها في المقابل يصعب وضع ضوابط مانعة فيها ما يجعلها تحوي عدة آثار تربوية سيئة.

أشارت عز (دون سنة) أنه ازدادت أبعاد الدور الإعلامي و الاتصالي من خلال الأقمار الصناعية، والبت المباشر، وزيادة أعداد المحطات الفضائية على نحو لم يكن مسبقاً من قبل، وشيوع شبكة الإنترنت وربطها العالم في شرايين معلوماتية لم تكن متاحة سابقاً. الأمر الذي جعل من السهل وضع الجمهور في دول العالم كافة عرضة لتأثير وسائلها المتنوعة.

ومع الجهود المتزايدة من طرف صناع هذا الإعلام ومروجيه وبائعيه، يطرح مفهوم جديد للإعلام يضاف إلى أدوارها السابقة في إطار العولمة أو ما يطلق عليها " العولمة الثقافية " التي تحكم البث الإعلامي والاتصالي"، لأن وسائل الإعلام والاتصال تضطلع بدور بالغ الأهمية على مختلف المستويات النظرية والتطبيقية، وعلى نطاق واسع في إيصال معطيات الفكر والمعرفة إلى الناس، بلغة وأدوات أكثر نفاذاً وفاعلية في تشكيل فكر المجتمع ووجدانه.

ليس غريبا أن تدرج وسائل الإعلام والاتصال كمصدر للقيم التربوية في المجتمع الجزائري، في ظلّ تزايد المضامين التي توصف على أنها برامج تربوية يتعرض لها الأطفال والأولياء. وكثيرا من يعتمد عليها في اتخاذ القرارات التربوية لدى العائلات. هذا الوضع قد ينطبق على الجزائر والدول العربية أكثر منه في الدول الغربية.

ولقد أثبت محمد سري (2003)، أن وسائل الإعلام والاتصال أصبحت من بين الوسائل المعتمدة لتعويض إخفاقاتنا في مجال التربية، أو على الأقل بعض النقائص التي تكتنفها بسبب الحاجة المعرفية المتزايدة للطفل. ولا يخفى على أحد كيف فشلت الوسائل التقليدية اليوم في تحقيق حدّ أدنى من النجاح في تربية الطفولة، مقارنة بالتأثيرات التي استطاعت وسائل الإعلام والاتصال تحقيقها في العملية التربوية، إلى درجة اعتماد الكثير من الآباء على وسائل الإعلام في تعليم وتنشئة أبنائهم، وأحيانا يعتمدون عليها بشكل مطلق في تولي عملية التعليم، والترفيه، رغم ما قد تحمله من مضاعفات جانبية.

فالتربية في عصر وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، تختلف عن التربية في زمن ما قبل انتشار هذه الوسائل الحديثة، لما تحمله من خصائص مغايرة، وتأثيرات قوية ومباشرة. فقد أصبحت العائلة تنظر إلى هذه الوسائل من منظور تربوي، قادرة على مساعدة الأولياء في واجبه التربوي الذي يقومون به، أو على الأقل الاستعانة بها في توفير المساعي التربوية للأسرة.

فالمعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام والاتصال تمثل بالنسبة للأولياء قيمة مضافة لإنتاج المعرفة، للطفل والعامل الحاسم في الحياة الاجتماعية، والتوجه الذي قد يسلكه الطفل في حياته المستقبلية.

كما أثبت الراسي (2014) أن التطور التكنولوجي قد جلب لوسائل الإعلام والاتصال أشكالاً وأفكاراً جديدة بحيث تؤكد الدراسات التي تم إجرائها، أن الطفل في عصر المعلومات، يحمل من الأفكار ما يماثل مرحلة من مراحل الإنجاز الفكري والعلمي أي ما يفوق معلومات فيلسوف إغريقي قديم. هذا الامتزاج السريع بين العائلة الجزائرية ووسائل الإعلام والاتصال في المسائل التربوية، واعتبارها شريكا في هذه العملية إلى حدّ كبير، قرّب الطفل أكثر من هذه الوسائل، وجعله ينظر إليها كمصدر تربوي، ومرجعية فكرية ومعلوماتية. كما أدى ذلك

إلى ظهور علاقات اجتماعية جديدة، وقيم سلوكية حديثة، واتجاهات وعادات لم تكن موجودة، قد تتفق وقد تتعارض مع الإطار الثقافي و القيمي لمجتمعنا.

للإعلام عموماً أهمية كبيرة لا يمكننا أن ننكرها، رغم ما قد يحمله من سلبيات أخرى، وهو ما جعله يصنف من بين المؤسسات الفاعلة والمدعمة للتربية من منظور الأسرة. ويتضح ذلك من خلال الوظائف والأدوار المتعددة التي يقدمها للأفراد والجماعات، والتي نذكر من أهمها: إفهام أفراد المجتمع لمهامهم واحتياجاتهم في التربية على الإعداد النفسي للعمل والحركة، ومساهمته في تكوين الاتجاه، والترويج على النفس، وتنمية الخبرات والمعارف والمهارات، ونشر القضايا المهمة والقيم السائدة في المجتمع، والضبط الاجتماعي.

يؤكد على مدى هذه الأهمية في تدعيم دور الأسرة من خلال نشر الوعي والمعرفة والتثقيف... لكن وفي المقابل قد تعمل وسائل الإعلام في بعض الحالات على تعميق ميل فئات من الأطفال والشباب إلى الانحراف، وتغيير الاتجاه بفعل التأثير السلبي الذي يمكن أن تبثه في ظل غياب مراقبة الأسرة.

- خصائص وسائل الإعلام ووظائفها التربوية :

وسائل الإعلام غالباً فهي ذات اتجاه واحد، فهي تضمن قسطاً كبيراً من الاختيار (اختيار البرامج) تسعى لاجتذاب أكبر عدد ممكن من الجمهور.

يعتبر الإعلام مؤسسة اجتماعية تستجيب إلى البيئة التي تسعى فيها وسائل الإعلام بمختلف أشكالها ومسمياتها إلى تحقيق العديد من الأهداف وهي على النحو التالي:

- تربية الناس وتعليمهم وتوجيههم إلى إتباع الأصول والعادات والأعراف الاجتماعية

- تثبيت القيم والمبادئ والاتجاهات العامة والمحافظة عليها

- جمع الأخبار وتفسيرها والتعليق عليها

- خدمة الناس عن طريق الدعاية والإعلان

- تتيح فرصة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات

- ترفيه الناس وإقناعهم وتسليتهم

- الإرشاد والتوجيه وبيان المواقف والاتجاهات

- التثقيف

- تنمية العلاقات الاجتماعية بين الناس

- التربية والتعليم بطريقة هادفة وموجهة من خلال التلفزيون التربوي والإذاعة أو الصحف أو
المجلة المدرسية

- وظائف وسائل الإعلام وأبعادها التربوية:

يرى عامر (2010)، أن الإعلام بوسائله يمد الفرد بفرص تعلم مستمرة مدى الحياة ويساعده على مواجهة متطلبات النمو المتزايدة والمتغيرة والتي لم تعد المؤسسات التربوية النظامية قادرة وحدها على توفيرها في ظل ما يشهده العصر الحالي من انفجار معرفي.

ومن الملاحظ أن الوظائف التي تؤديها وسائل الإعلام للمجتمع تتنوع تبعا لاحتياجات كل مجتمع من المجتمعات ومن ثم فإن وسائل الإعلام تتصل اتصالا وثيقا بالتنشئة الاجتماعية حيث تؤدي دورا مهما في توسيع آفاق الفرد وإثراء حصيلته من المعرفة فيسمع ويرى أشياء لم يعرفها من قبل كما تساعد على رفع مستوى تطلعات الأفراد إلى حياة أفضل مما يؤثر بشكل إيجابي في تطور الحياة وتقدمها نحو الأفضل.

ولا تتوقف مهمة وسائل الإعلام عند حد إخبار الجمهور أو إعلامه بما يدور حوله من أحداث بل عليها أيضا أن تساعد على فهم المادة التي تقدمها إليه فتتولى شرحها وتوضيح غير المعروف منها، ذلك أن التطور السريع في مجالات المعرفة أدى إلى زيادة الأعباء الملقاة على الفرد العادي، فلم يعد يملك الوقت أو الجهد أو المال أو العلم الذي يمكنه من فهم الجوانب المختلفة لشتى المعارف خاصة في العصر الراهن بعد أن صار معدل

تضاعف المعرفة الإنسانية يتم كل بضع سنوات بدلا من خمسين عاما كما كان في الحرب العالمية الثانية.

ويبرز الدور الحيوي لوسائل الإعلام في مجال التوجيه المعتمد على الدلائل والحقائق في لغة سهلة مبسطة مما يساعد على إكساب الجماهير في التعامل الذكي مع وسائل الإعلام بحيث لا يتقبلون كل ما تقدمه وسائل الإعلام وإنما يتفاعلون معه بعقلية واعية ناقدة.

وقد أصبحت وظيفة التثقيف إحدى الوظائف المهمة لوسائل الإعلام خاصة مع النمو السريع للمعلومات الذي جعل البعض يشير إلى أن عملية الحث على المعلومات قد أصبحت الوظيفة الأساسية في مجال الاتصال وبرز مفهوم تفجر المعلومات باعتباره عنصرا أساسيا في التنافس بين الدول ويكفي القول بأن المعلومات الآن لدى الدول المتقدمة قد أصبحت المعدل التنافسي لما تملكه الدول النامية من موارد الطاقة والثروات الطبيعية.

وفي إطار دور وسائل الإعلام في مجال التنشئة الاجتماعية تقوم بالعمل على تكامل المجتمع من خلال ترسيخ القيم والمبادئ وتثبيت الاتجاهات والمحافظة عليها والمساعدة على نقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل وذلك بتوحيد المجتمع عن طريق تكوين قاعدة مشتركة بين أبناء المجتمع من القيم والخبرات الاجتماعية.

كما يجب على وسائل الإعلام أن تتيح الفرصة للإسهام في عملية اتخاذ القرارات وأن يعمل على أن يقوم نوع من الحواجز يشمل جميع من يجب عليهم اتخاذ قرار التغيير.

ويلاحظ أن هذه الأدوار لا يمكن الفصل بينها فصلا مطلقا حيث يتداخل كل هدف مع غيره من الأهداف.

- مجالات تأثير وسائل الإعلام في المجتمع :

1. تغيير الموقف أو الاتجاه:

هو من أبرز وأوضح مظاهر تأثير وسائل الإعلام حيث يقصد بالموقف رؤية الإنسان لقضية ما، أو لشخص ما، أو لقيمة، أو لسلوك، وشعور الإنسان تجاه هذا الشيء إما سلباً أو إيجاباً، رفضاً أو قبولاً، حباً أو كراهية، عداً أو مودة، وذلك بناءً على المعلومات التي تتوافر للإنسان .

ووسائل الإعلام عادةً هي التي تزودنا بالمعلومات أو بالجزء الأعظم منها، وبالتالي فإن وسائل الإعلام تؤثر على فهمنا، ومواقفنا، وحكمنا على الأشياء.

2. التغيير المعرفي:

وهي درجة متقدمة من تأثير وسائل الإعلام وذلك على النحو التالي:
- المعرفة هي مجموع كل المعلومات التي لدى الفرد، وتشمل الاعتقادات والمواقف والآراء والسلوك.

- المعرفة أعم وأشمل من الموقف أو الاتجاه، الذي يعد جزءاً من جزئيات المعرفة .
- التغيير المعرفي أعمق أثراً في حياة الإنسان، بخلاف تغيير الموقف أو الاتجاه الذي يكون طارئاً أحياناً ويزول بزوال المؤثر، أما التغيير المعرفي فهو بعيد الجذور، ويمر بعملية تحول بطيئة تستغرق زمناً طويلاً.

- تؤثر وسائل الإعلام في التكوين المعرفي للأفراد من خلال عملية التعرض طويلة المدى لوسائل الإعلام كمصادر للمعلومات، فنقوم باجتثاث الأصول المعرفية القائمة لقضية أو لمجموعة قضايا لدى الأفراد، وإحلال أصول معرفية جديدة بدلاً منها.

3. تغيير القيم عبر التنشئة الاجتماعية:

- في كل مجتمع هناك مؤسسات تقوم بتنشئة الأفراد وتنقيفهم وتعليمهم السلوك المقبول اجتماعياً، وتزويدهم بالمعارف والعقائد والقيم التي تشكل هويتهم الثقافية والحضارية، مثل البيت والمدرسة .

- مع التوسع الهائل لوسائل الإعلام تضاعل دور مؤسسات التنشئة الأساسية كالبيت والمدرسة، وأصبحت وسائل الإعلام صاحبة الدور الأكبر المسيطر في عملية التنشئة الاجتماعية .

- إن كثيراً مما نسمعه أو نقرأه أو نشاهده في وسائل الإعلام لا يخلو من هدف، ويعبر عن ذلك علمياً بأنه مشحون بالقيم.

- إن الرسالة الإعلامية سواءً كانت في شكل خبر أو فكاهة أو برنامج وثائقي فإنها تستطيع أن تعمل على إزالة قيمة من القيم وتثبيت أخرى محلها، أو ترسيخ شيء قائم والتصدي لآخر قادم، وهذا بالضبط هو مفهوم التنشئة الاجتماعية في أبسط صورها.

4. تغيير السلوك:

- إن السلوك البشري لا يمكن التحكم فيه من خلال عامل واحد فقط، وإنما يحدث نتيجة عوامل متعددة.

- قد يكون تغيير السلوك البشري نتيجة تغيير في الموقف والاتجاه، أو نتيجة تغيير معرفي عميق، أو نتيجة تنشئة اجتماعية طويلة الأمد، أو قد يكون السلوك ناشئاً عن مؤثرات وقتية بسيطة مثل تغيير السلوك الشرائي، والإقبال على ألوان أو نوعيات معينة من الملابس.

- مهما كانت أسباب تغيير السلوك فإن لوسائل الإعلام دور ما، يزيد أو ينقص، في إحداث التغيير والتأثير بشكل عام، وذلك حسب متغيرات البيئة والمحتوى والوسيلة والجمهور والتفاعل.

-قائمة المراجع :

1. الراسي، هيثم (2012). الأدوار التربوية للإعلام. بغداد : دار النهضة.
2. الرفاعي، محمد (2011). الإعلام في العصر الرقمي ودوره في تشكيل قيم الأسرة العربية. دمشق : مجلة جامعة دمشق.
3. ديب، سميح.(1991). الإعلام التربوي في دول الخليج العربية. قطر : مكتب التربية العربي لدول الخليج.
4. عامر، وليد (2009). نحو تربية إعلامية لأطفالنا. الجمهورية السورية العربية : دار اليرموك.
5. عزّ، إيمان (دون سنة). النمو الأخلاقي عند الطفل. القاهرة : جامعة عين شمس.
6. عليوة، السيد (1987). استراتيجية الإعلام العربي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7. محمد العلي، فارس (2008). أطفالنا والعولمة. مصر : مجلة المعلم العربي.
8. محمد سري، إجلال (دون سنة). الأمراض النفسية الاجتماعية. القاهرة: عالم الكتاب.
9. محمد صالح، أحمد (2004). ثقافة مجتمع الشبكة. دمشق : دار الفكر.